



عندما ينظر المرء إلى ما يدور حوله في العالم تتنابه - ولا شك - الحيرة إزاء الأحداث الجسام التي تحل بالأمة الإسلامية. فلا تخلو أي نشرة إخبارية من النكسات والإهانات التي يتلقاها المسلمون في هذا القطر أو ذاك. إن أمتنا صنعت تاريخاً من المجد والسؤدد لقرون طويلة، وها هي تقبع اليوم في برائن الظلام الحالك وتنصب عليها المصائب من كل حذب وصبوب.. فالأراضي تُسلب والأرواح تزهق ويزداد التشردم والانقسام، وعمّت الفوضى البلاد الإسلامية وعصفت بها ريح التشتت والفرقة. وفي ظل هذه الظروف القاسية اندثرت الآثار الحميدة لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف أمام أعين الجميع. كما ساهم عصر العولمة في السيطرة الفكرية والثقافية على الكثير من

## تأملات

### في الشارع الإسلامي

بقلم: أبو طلحة الكافي \*

\* مراسلنا من تونس

عمن حولها من الأمم والشعوب، لدرجة أن الضعفاء من هذه الأمة.. وما أكثرهم!! جعلوا وراء ظهورهم تعاليم هذا الدين الحنيف ودخلوا في عملية انصهار تام مع العادات والتقاليد الغربية، من جراء انبهارهم من التقدم الذي تحرزته هذه الشعوب في شتى مجالات الحياة وتفوقها على الأمة الإسلامية.

ولم يتوقف الأمر إلى هذا الحد المتدني، بل يُصدم المرء من حين لآخر حيث يسمع أقوالاً تستهتر بالدين الإسلامي، نظراً لعجز المسلمين عن منافسة هذه الشعوب واعتلاء ركب الحضارة والتقدم من جديد. وهنا لا بد أن نذكر بحقيقة تكاد تكون مستترة باديء الأمر عن أعين الناظرين إلا أنها تحمل في طياتها، بصورة لا تدع مجالاً للشك، صدق الإسلام والدعوة الإسلامية. فنذكرهم ونقول إن هذه

شبابنا التائه. فالمسلمون أصبحوا لا حول لهم ولا قوة، إذ لا نكاد نسمع عبر وسائل الإعلام إلا الشعارات الرنانة والنقاشات الصاخبة وتضارب الآراء، ويوما بعد يوم، يزداد الوضع تعقيداً والظلام حلكت مع ازدياد الشعارات والخطابات التي تستلهم النفوس. وباختصار فإن أمتنا اليوم تسبح في عصر الانحطاط الكامل والشامل إذا ما قُورنت

” وكثيرا ما عرف هؤلاء بعلماء السلاطين. ومن هذه الفرقة من يسعى إلى استرضاء الشارع الإسلامي بإصدار فتاوى قد لا تعجب الحكام بل تعجب القطاع الأوسع من الناس.... ولعل أبرز هؤلاء هم مشايخ وعلماء القنوات الفضائية. وعلى كل حال، فإن علماء السلاطين وعلماء الفضائيات هم جميعا يسعون إلى إرضاء الناس سواء كانوا الحكام أو المحكومين ....

“

الأرض بغض النظر عن الالتزام الجاد بمبادئ الإسلام. وهذه الفرقة تنصب نفسها وصية على مصالح الأمة وترتكب الجرائم باسمها. وتنتظر هذه الفرقة إلى المسلمين بنظرة قومية قائمة على الدين. وما أشبه هذه النظرة بالنظرة اليهودية القومية الدينية. فهؤلاء يشابهون اليهود في فكرهم وسلوكهم. أما الفرقة الثانية فهي فرقة تسعى إلى استرضاء قطاع من الناس حسبما تقتضي الضرورة. فمنهم من يسعى إلى استرضاء الحكام ومن حولهم والعالم الغربي الذي يسيطر نفوذه على الأرض

الدين ويظنون أنه سبب للانحطاط لربما يجدون لفكرتهم هذه مبررات واهية مرجعها ما يرونه من سلوك الحركات والتنظيمات الإسلامية التي ساهمت دون أدنى شك في تعقيد الأوضاع وإرباكها، بل وتحملت أحيانا المسؤولية عن الويلات والمصائب التي تقع على الأمة. ولكن عليهم أن يدركوا أن هذه الحركات والتنظيمات لا تمثل عودة نحو الدين بل هي ردة عن قيمه ومبادئه. فسلوك هذه الحركات المنافي لتعاليم الإسلام، مع رفعهم لشعاره، أسهم في الإساءة

الشعوب الغربية ما بدأت في تقدمها وتطورها إلا بعدما تحررت من ربطة السلطة الكنسية التي غاصت بهم في بحر الانحطاط إلى أمد بعيد. أما المسلمون ويا للعجب.. فقد حدث لهم نقيض ذلك فكلما أخذوا بلب الدين أحدثوا ثورة روحانية عظيمة شهدتها الدنيا وحققوا ازدهارا دينيا وديويا. أما الانحطاط الذي يعصف بالمسلمين اليوم فما هو إلا وليد ابتعاد المسلمين عن تعاليم دينهم وجعلهم إياها وراء ظهورهم، حتى أصبح الدين قشرا بلا لب وكلاما بلا روح وشعارات بلا فائدة. فكانت النتيجة ما يلقاه المسلمون اليوم من ذل وخذلان. أليست هذه الحقيقة كافية لإثبات صدق هذا الدين، ولرد كل ما يزعمه ضعفاء الإيمان من مزاعم تنال من شرف ديننا ونبينا المصطفى ﷺ. وإن الذين يحاولون النيل من

بإدعاء نهجهم لمنهج الوسطية والاعتدال. فهم يشنون أشد الهجمات على الفريق الأول ويصمونهم بالإرهاب وبالخروج عن الدين. وكثيرا ما عُرف هؤلاء بعلماء السلاطين. ومن هذه الفرقة من يسعى إلى استرضاء الشارع الإسلامي بإصدار فتاوى قد لا تعجب الحكام بل تعجب القطاع الأوسع من الناس. وهم يبررون أحيانا بعض أعمال الفريق الأول ويتناغمون مع حكام السلاطين أحيانا وفق ما تقتضيه مصالحهم. ولعل أبرز هؤلاء هم مشايخ وعلماء القنوات الفضائية. وعلى كل حال، فإن علماء السلاطين وعلماء الفضائيات هم جميعا يسعون إلى إرضاء الناس سواء كانوا الحكام أو المحكومين ولا يأبهون كثيرا بمبادئ الإسلام وقيمه الأصيلة.

أما الفئة الثالثة، فهي فئة الصالحين الذين لا يخافون في الحق وفي الله لومة لائم، وهم من يسعون إلى الالتزام بمبادئ الإسلام وقيمه، والذين يعملون من أجل نشر هذه المبادئ والقيم التي تحمل الخير لهم وللعالم أجمع. وهذه الفئة، على قلة عددها، موجودة ولا بد أن تكون في هذه الأمة وإن كان صوتها خافتا أحيانا ودعواها لم تلق صدى عند الناس حكاما ومحكومين حتى هذا الوقت. فهذه الأمة لا يمكن أن تخلو من الفئة التي تحمل لب الإسلام وجوهره والتي تسعى إلى إعادة الأمة إلى دينها وقيمتها الأصيلة لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٥)

ونرجو من الله تعالى أن يجعلنا من هذه الفرقة التي هداها الصراط المستقيم،

صراط الذين أنعم عليهم. وقد لا يختلف العلماء على شتى مشاربهم، أن سيدنا وحبينا المصطفى ﷺ قد تنبأ بأنه سيكون في الأمة من يشابهون اليهود والنصارى. وهذا النبأ تتضمنه سورة الفاتحة أيضا التي يرددتها المسلمون ثلاثين مرة على الأقل في اليوم. فمن هم المغضوب عليهم ومن هم الضالون الذين ندعو الله تعالى ألا يجعلنا منهم؟ فعلى كل مسلم أن يستذكر أن الفرقة الأولى التي ذكرناها تحاول أن تستخدم نصوصا مبتورة من سياقها لتسوغ أعمالها، وتعلن التزامها المطلق بالدين بحذافيره. وهي فئة تتسم بالتعصب الأعمى وبعدم الشمولية في تناول الأحكام. وهي تشابه اليهود الذين يستندون إلى نصوص دينية في تبرير القتل والتدمير الذي يصبونه على المسلمين، ويسعون إلى إشعال نار الفتن والحروب

بين شتى أمم الأرض لتحقيق مصالحهم القومية المغلفة بعباءة دينية. والفئة الثانية هي التي تشابه النصارى الذين ابتدعوا دينا متهاونا بالقيم والمبادئ متحررا من أعبائها، وتسعى إلى استرضاء الناس واكتساب تعاطفهم. أما من ليس من هؤلاء ولا من هؤلاء فعليه أن يسعى أن يكون من الفئة الثالثة التي هي فئة المسلمين المؤمنين الذين يتبعون الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم. ولكن هذه الفئة لا بد أن تتوحد ويشتد عودها كي تكون ظاهرة على هاتين الفرقتين ويتسنى لها النهوض بحال الدين والأمة. ونحن في الجماعة الإسلامية الأحمدية نحمل تاريخا حافلا بمغايرة هاتين الفرقتين واتخاذ مواقف لا ترضي الأولى ولا الثانية. فنحن نقول الحق ونلتزم بالإسلام سواء كنا في حال الضعف أو القوة ولا نسعى

ولا شك أن الشارع الإسلامي هو شارع محب لدينه، وسيدافع عنه بكل ما أوتي، فيما لو أنجلت عنه الغمامة التي تشكلت من قرون تضاءل فيها نور الإسلام الصحيح وخفت صوتته بين الناس. وعندما يجتمع هذا الفريق وتتكاثر أياديه فإنه سيجد أن يد الله تعالى ستكون فوق أيديه. وسينصر الله تعالى من ينصره وهذا وعده الذي لا يُخلف، ومن أوفى بعهده من الله.

” ولا شك أن الشارع الإسلامي هو شارع محب لدينه، وسيدافع عنه بكل ما أوتي، فيما لو أنجلت عنه الغمامة التي تشكلت من قرون تضاءل فيها نور الإسلام الصحيح وخفت صوتته بين الناس.“

دين على مرتبة عالية من العلم والتقوى ولكنهم لم يكونوا محور بحثنا حيث إنهم أقلية لا يُسمع صوتها في خضم الفوضى التي يشهدها الشارع الإسلامي ولا يُقام لكلامها وزن. في شرف هذا أو ذاك. ولكننا ومن زاوية محايدة وبمنظار منصف حللنا أهم الأحداث التي تسقطب الاهتمام على الساحة الإسلامية. كما أننا على يقين أن الأمة الإسلامية تزخر برجال

إلى اكتساب رضى الناس بسخط الله والانحراف عن أوامره ومبادئ دينه الحنيف. ونحن ندعو جميع شرفاء الأمة أن ينضموا إلينا، سواء التحقوا بجماعتنا أو لم يلتحقوا، حتى نكون يدا واحدة نحو رفعة الأمة وإعلاء كلمة الإسلام وتبديد الأفكار المنحرفة بالحوار والكلمة الطيبة والحكمة والموعظة الحسنة. والجدير بالذكر في هذا المقام أننا لم نخط هذه السطور بغرض إدانة أو إهانة زيد أو بكر أو الطعن

إذا غامرت في شرف مروم

فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

\* \* \*

وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم

وما الحُسن في وجه الفتى شرف له

\* \* \*

إذا لم يكن في فعله والخلائق

(المتنبى)

محطة شعرية